﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٩﴾ [المرسَلات: 16 - 19]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

إيقاظٌ للعقولِ بقدرةِ المقتدرِ على ما هو معلومٌ ومجهول

لمّا أقسم الله سبحانه على وقوع الوَعْدِ والوعيد؛ تنبيهًا على كمال السُّلطان؛ أتبع ذلك بما هو شاهدُ العيان ودليلُ البرهان مِن آثار قُدْرَتِه في القرون الخاليَة، وجنايات الأمم الباغية؛ ليُعلَم أنَّ مَن أجرى تلك الوقائع في سالف الزَّمان؛ قادرٌ على إعادة الأجساد بعد الفناء، وجمعِ الخَلْقِ ليَوْمِ الفَصْلِ والجَزاء[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: أصل (أول) يدلُّ على ابتداء الأمر[2]، فالأوَّل: نقيض الآخِر، وهو ابتداء الشَّيء الذي يترتَّب عليه غيرُه، سواءٌ أكان له آخِرٌ أمْ ليس له آخِر، وأوَّل: جمعه أوائل[3]، وإذا قيل في صفة الله تَعالى؛ فمعناه: أنَّه الذي ليس قبلَهُ شيءٌ، وإلى هذا يَرْجِع مَن قال: هو الذي لا يَحْتاجُ إلى غيره، ومَن قال: هو المُستَغني بنَفْسِه[4]، ومعنى: ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ هنا: الأمم الماضية المكذِّبة لرسلهم[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قدرةُ الله تَعالى تتجلَّى في إهلاك المكذِّبين مِن السّابقين ومَنْ سلك مَسْلَكَهُم إلى يوم الدِّين

يبيّن الله ﷻ في هذا السِّياق القرآنيّ المبارك بأسلوبِ الاستفهام المفيد للتَّقرير عن مدى قُدْرَتِه سبحانه على إهلاك هؤلاء المشركين مِن الأمم السّابقين الذين كذَّبوا بالله تَعالى ورسلِه ﷺ، كقوم نوحٍ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 771، والبقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 164، والمراغيُّ، تفسير القرآن: 29/ 182.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أول).
(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللُّغة، والجوهريُّ، الصِّحاح، والرّاغب، المفردات: (أول).
(4) الرّاغب، المفردات: (أول).
(5) البغويُّ، معالم التَّنزيل: 8/ 305.

وعادٍ وثمودَ، وإهلاك مَن لَحِقَهُم مِمَّن سلك مسلَكَهُم في الكُفْرِ والتَّكذيب، كقوم لوطٍ وشُعَيْبٍ وموسى ﷺ، وكذلك يتحقَّق هذا الإهلاك لهؤلاء المشركين مِن كفّار مكَّة؛ لتكذيبهم النَّبيَّ محمَّدًا ﷺ، وسيكون لهم ولغيرهم ممَّن كذَّب مثلَهم الوعيدُ الشَّديدُ بالعذاب العظيم والهلاك الكبير في الدُّنيا والآخرة[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّة فصْلِ الآية ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ عن سابقتها:

الله سبحانه لا يُعْجِزُه إهلاكُ الآخرين، فقَد أهلَكَ أسْلافَهُم الأوَّلين

فُصِلَ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لكونِه استئنافًا بخطابٍ موجَّه إلى المشركين الموجودين الذين أنكروا البعث، معترضًا بين أجزاء الكلام المخاطَب به أهل الشِّرك في المحشر، وهوَ يتضمَّن استدلالًا على المشركين الذين في الدُّنيا، بأنَّ اللّه سُبحانَهُ انتقم مِن الذين كفروا بيوم البعث مِن الأمم الذين سبقوهُم؛ ليكون تحذيرًا لهم أن يَحِلَّ بهم ما حلَّ بأولئك[2].

نوعُ الاستفهام وغرضُهُ في ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾:

تقريرٌ عقليٌّ جميلٌ لإمكان البَعْثِ بطريقةِ قياسِ التَّمثيل

الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ "استفهامٌ إنكاريٌّ، وهو داخلٌ على نفي، ونفيُ النَّفي إثباتٌ، ويعبَّر عنه بالاستفهامِ التَّقريريّ، والمرادُ به: طلَبُ الإقرار بما بَعْدَ النَّفي"[3]، "والمقصود به هنا: استخراجُ الاعتراف والإقرار مِن مُشْركي قُرَيْشٍ على صحَّة البعث؛ لأنَّ مَن قدر على الإهلاك؛ قادرٌ على الإعادة، أي: لقد أهْلَكْنا الأقوام الأوَّلين الذين كذَّبوا رُسُلَهم"[4]، "فأقِرّوا بذلك، فاعتبِروا به، وتنبَّهوا له، واحذروا أن تكونوا مثلهم، فإنَّ مِثْلَ ذلك

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 594.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 428.
(3) القنَّوجيُّ، فتح البيان: 15/ 14.
(4) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 236.

الفِعْلِ الذي فعَلْناهُ مع غَيْرِكُم نَفْعَلُهُ بالمُجْرِمين، الذين يُكَذِّبون بيَوْمِ الدِّين مِنْكُم"[1]، "فالاستفهامُ للتَّقرير استدلالًا على إمكانِ البَعْثِ بطريقَةِ قياسِ التَّمثيلِ"[2].

سرُّ إيثار التَّعبير بالإهْلاك دونَ غيره:

الإهـلاكُ إفناء وإعـدامٌ، وغلَبَ استـعـمالُـهُ في الاسـتـئـصـالِ التّامّ

يدلُّ جذر الهلاك على كَسْرٍ وسقوط، وقد غَلَبَ استعمالهُ في الإعدامِ والإفناءِ[3]، ومِن هنا افتَرَقَ عن الموتِ، "وإهلاك الأوَّلين له حالتان:

إحداهما: حالةٌ غير اعتياديَّة تنشأ عن غضَبِ الله تعالى، وهو إهلاكُ الاستِئصالِ، مثلُ إهلاكِ عادٍ وثمودَ.

والأُخرى: حالَةٌ اعتياديَّة، وهي ما سنَّ الله عليه نظامَ هذا العالم مِن حياة وموتٍ.

وكلتا الحالتيْن يصحُّ أن تكون مرادًا هنا، فأمّا الحالةُ غير الاعتياديَّة؛ فهي تذكيرٌ بالنَّظر الدّالِّ على أنَّ الله لا يرضى عن الذين كذَّبوا بالبعث، وأمّا الحالة الاعتياديَّة؛ فدليل على أنَّ الذي أحيا النّاس يُميتُهُم، فلا يَتَعَذَّر أن يُعيدَ إحياءَهم"[4].

بلاغَةُ الطّباق بين ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ و﴿ٱلْآخِرِينَ﴾:

بين ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ و﴿ٱلْآخِرِينَ﴾ طباقُ إيجابٍ، وقد استَوعَب جميع المكذّبين في الزَّمن الماضي والحاضر، فلا يوجَدُ أحدٌ خارجٌ مِن قبضته ﷻ، وهذا وعيدٌ شديد لكلِّ مخاطَب بهذه الآيات، ويدخُل فيه الكُفّار دخولًا أوَّليًّا.

دلالة العطف بـ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾:

إهـلاكُ الآخِرين أشـدّ، والتَّنبيه عليهِ أوْكَدُ

حرف ﴿ثُمَّ﴾ دالٌّ على التَّراخي الرُّتبيّ؛ لأنَّ التَّهديدَ أهمُّ مِن

(1) حجازيٌّ، التَّفسير الواضح: 3/ 805.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 428.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (هلك).
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 428.

الإخبارِ عَن أَهْلِ المَحْشَر؛ لأنَّه الغرضُ مِن سَوْق هذا كلِّه، ولأنَّ إهلاك الآخرين الذين لم يعتبِروا بمَن سبَقَهم أشدُّ مِن إهلاك الأوَّلين؛ لأنَّه مسبوقٌ بإهلاكٍ آخَرَ، وفي ذلك تهديدٌ شديدٌ، ووعيدٌ واضِحٌ لمُشْرِكي مكَّةَ[1].

دلالة التَّعبير بالمُضارع ﴿نُتْبِعُهُمُ﴾ و﴿نَفْعَلُ﴾ مسندًا إلى ضميرِ العظَمة:

الفعل المضارعُ دالٌّ على التَّجدُّد والاستمرارِ، وهوَ يُشير إلى وُقوع الحدَثِ مرَّة بَعْدَ مرَّةٍ، حالًا واستقبالًا.

ليس لسُنَّة الله تَـعـالى تبديلٌ، ولا لقضائه مردٌّ ولا تحويلٌ

وفي التَّعبيرِ بهِ في قوله تَعالى: ﴿نُتْبِعُهُمُ﴾، و﴿نَفْعَلُ﴾ إشارةٌ إلى تكرُّر هذا الأمْرِ مَعَ كلِّ أُمَّة مكذِّبة، فسُنَّة الله تعالى في جميعِ المُجْرِمين واحدَةٌ، لا استِثناء لأحد، ولا محاباة لأحد، والمعنى: "كما أهلكنا المتقدِّمين لإجرامهم وتكذيبهم؛ نفعَلُ بالمتأخِّرين الذين حذَوا حَذْوَهُم، واستنّوا سُنَّتهم، فسُنَنُنا تجري على وتيرةٍ واحدة"[2].

وفي هذا تهديد أكيدٌ، ووعيد شديدٌ لأهل مكَّة الكافرين، وهذا "معلومٌ مِن المُضارِع، فيكون تهديدًا وإخبارًا عمّا يقع بعد الهجرةِ، كبَدْرٍ"[3].

وإسناد الفعلين إلى ضمير العظَمَة المستتر (نحن) يُفيد تعظيمَهُما مِن حيث أُسنِدا إلى العظيم ﷻ، فليس كفِعْلِ الله تعالى فِعْلٌ، وليس كبَطْشِهِ بَطْشٌ، وفي هذا عبرةٌ لمُعْتَبِرٍ وترهيبٌ لمَن كان لهُ قَلْبٌ.

نكتة التَّعبير بالإتْباع دون (ثمَّ الآخِرين):

التَّعبير بالإتْباع تهديدٌ لمَن لمْ يأتِهِ الهلاكُ والوعيد

لو جاء النَّظم القرآنيُّ هكذا: (ألم نهلك الأولين ثُمَّ الآخرين)؛ لفاتت شدَّة التَّهديد وقوَّة الوعيد؛ لأنَّه قد يُفهَم منه ساعتئذٍ أنَّ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 429، وطنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 236.
(2) المراغيُّ، تفسير القرآن: 29/ 183.
(3) الشِّهاب الخفاجيُّ، عناية القاضي: 8/ 296.

الهلاك قَد تمَّ، وحصل للأوَّلين والآخِرين، فيظنُّ المخاطَبون أنَّهم عنه بعيدونَ، فلذلك جاء قوله تعالى: ﴿نُتۡبِعُهُمُ﴾ بالرَّفع؛ "ليكونَ مقطوعًا عمّا قبله، ويُستأنفَ به الكلامُ على وجهِ الإخبار عمّا سيَقَعُ في المستقبل بإضمارِ المُبْتَدَأ، وفيه وعيدٌ لكفّار مكَّةَ"(1).

فالتَّعبير بالإتْباع تهديدٌ لمَن لمّا يأتِهِ الهلاك، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾، أي: في المستقبَل، فيدخل هنا: كُفّارُ قريشٍ وغيرُهم ممَّن أجرم فيما يُستَقْبَل، فيَشْمَله الهلاكُ(2).

علَّة فصْلِ قولِهِ تَعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ عن سابِقِهِ:

مِـــن شـــأنِ الاستِـئْـنـافِ البيانيِّ أن يُفصَل عـن سـابـقِـهِ، ويُمهِّد للاحِقِهِ

فُصِلَ قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لوقوعِهِ موقِعَ البيان لجملةِ: ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾، "وهو كالتَّذييل يبيّن سببَ وقوع إهلاك الأوَّلين، وأنَّه سببٌ لإيقاع الإهلاك بكلِّ مجرم، أي: تلك سُنَّة الله في معاملة المجرمين، فلا محيصَ لَكُم عنها"(3).

فلمّا كانت هذه الجملة بيانًا لسابِقَتِها، أو كالإجابة عن سُؤالٍ نشأ عنها، تقديرُه: (لماذا فعل الله ذلك بالأوَّلين والآخرين؟)، فأجيب: ﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾، أي: لأنَّهم مجرمون، لمّا كان ذلك كذلك؛ فقد حسُن الفَصْلُ بين الجُمْلَتَيْن.

بَلاغَةُ التَّشبيهِ في قولِهِ: ﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾:

تـشـابـهـوا في الجُرْمِ، فتَساوَوا في الحُكْمِ

"الكاف للتَّشبيه، و(ذلك) مفعولٌ مطلَق، أي: نَفْعَلُ بالمُجْرِمين فعلًا مثلَ ذلك الفعل؛ لكونِ فِعْلِهم مثلَ فِعْلِهم، والاتِّحادُ في السَّبب يَقْتَضي الاتِّحادَ في المُسبَّب"(4).

(1) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 284.
(2) الثَّعالبيُّ، الجواهر الحِسان: 5/ 538، والمحلّيُّ، تفسير الجلالين، ص: 785.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 429.
(4) القونوي، حاشية على تفسير البيضاويّ: 19/ 515.

"فالكافُ بمَعْنى: مِثل، والإشارةُ في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ تعود إلى الفعل المأخوذ مِن قوله: ﴿نَفْعَلُ﴾، أي: مثل ذلك الفعلِ نَفْعَلُ بالمجرمين"[1]، والمعنى: "مِثل ذلك الفعل الشَّنيع نفعَلُ بكلِّ مَن أجرم؛ إنذارًا وتحذيرًا مِن عاقبة الجُرْمِ وسوءِ أثَرِهِ"[2].

نكتة التَّعبير باسْمِ الإشارة للبَعيدِ ﴿كَذَٰلِكَ﴾:

التَّعبير باسم الإشارة للبعيدِ يفيد تعظيمًا وتهويلًا، فالفعلُ المشار إليه فِعْلٌ شنيعٌ فظيعٌ، وهو الإهلاكُ والاستئصالُ.

بلاغَةُ الإطنابِ بالتَّذييل بقولِهِ تَعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾:

قَوْلُ اللهِ تَعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ تعقيبٌ على هذا التَّقرير، والمعنى: "كما فعلنا بالأوَّلين، وألحقنا بهم الآخرين؛ كذلك نفعَلُ بالمُجْرِمين في كلِّ أُمَّة، وفي كلِّ جيلٍ، فهذا هو حكمُ اللهِ في أهل الضَّلال، لا استثناءَ فيه، وفي هذا إشارةٌ إلى المُشْركين الذين يواجهون النَّبيَّ ﷺ بعِنادِهم وضَلالِهم، ويَرْكَبونَ نَفْسَ الطَّريق الذي ركبه الضّالّون مِن الأوَّلين والآخرين قَبْلَهُم، فالوَيْلُ لَهُم يومئذٍ مِن عذابِ اللهِ المرصودِ لكلِّ مكذِّب بهذا الحديثِ"[3].

الوَيْلُ لِمَن أدْمَنوا عَنِ الحَقِّ الصُّدودَ، مِن عذابِ اللهِ تَعالى المَرْصودِ

سِرُّ إيثارِ التَّعبير بـ ﴿نَفْعَلُ﴾ دونَ غَيْرِهِ مِن مفرداتِ الانتِقام والإهلاكِ:

التَّعبير بالفِعْلِ أعمُّ مِن غيره مِن نحو البَطْشِ والإهلاكِ والانتقام وغيرها، فيكون ذلك بالبطش إغراقًا، أو إحراقًا، أو خَسْفًا، أو صيحة، أو رَجْفَةً، على نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: 40]، وقد يكون بأيدي

التَّعبير بالفعل أعـمُّ وأشـمَـلُ، والـتَّـهـديـد بـهِ أكمَلُ

(1) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 237.
(2) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 4/ 679.
(3) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 15/ 1397 - 1398.

المؤمنين قتالًا في سبيل الله تَعالى لتكون كلمةُ الله هي العليا، كما وقَعَ لِكُبَراء الكُفْر في غزوة بَدْرٍ الكُبْرى، ولِنَحْوِ ذلك أُشير بقوله تَعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [التَّوبة: 52]، وقد يكون بسَبَبٍ خفيٍّ. فالتَّعبير بالأعمّ أوقعُ في التَّهديد، فتذهب النُّفوس في توقُّعه كلَّ مذهب، فتَبْقى على وَجَلٍ.

معنى (الباء) والتَّعريفِ ودلالَتُهما في ﴿بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾:

عـــذابُ الـلـه تَـعـالى لَـصيقٌ بـالمُـجْـرمـينَ، ولَـيْـسـوا منهُ بناجينَ

الأصل في معنى (الباء) أنَّه موضوع؛ للدَّلالة على الإلصاق، حقيقيًّا كان الإلصاقُ أم مجازيًّا[1]، ممّا يفيد أنَّ هذا الفعلَ – فعلَ العذاب – لصيقٌ بالمجرمين، كما كانت أفعالُ إجرامِهم لصيقةً بهم، فلَم يُعْجِزوا ربَّهم في إيصالِ العَذابِ إليهم، ونزول النَّكال بهم، وقد ظنّوا أنَّهم في مَعزِل. أمّا اللّام؛ فللاستغراق، وهو مِن الموصولِ الحرفيّ، أي: بكلِّ مَن أجرم مِن كلِّ أُمَّة[2]، وهذا يقتضي العُمومَ[3].

دلالَةُ التَّعبير باسمِ الفاعل ﴿بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾، ونكتَةُ اختيارِه:

عـمـومُ الـعِـلَّـة يَـقْـتَـضي عـمـومَ الحُكْمِ

(المجرمون) مِن ألقاب المُشركين في اصطلاح القرآن، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المطفّفين: 29]، وورد في هذه السّورة أيضًا في قوله: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾، وإنَّما ذُكِر وصْفُ ﴿بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّ سببَ عِقابِهم بالإهلاكِ هو إجرامُهم[4]، "فأتى بالصِّفة المقتضية لإهلاكِ العذاب، وهي الإجرام"[5]، "أي: هذا الإهلاك إنَّما نَفْعَلُهُ بهم لكونهم مُجْرِمين، فلا

(1) سيبويه، الكتاب: 4/ 217، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 474، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 19.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاويّ: 19/ 515، وابن عجيبة، البحر المديد: 7/ 209.
(3) الشِّهاب الخفاجيُّ، عناية القاضي: 8/ 297.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 429.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 376.

جَرَمَ في جميع المجرمين؛ لأنَّ عمومَ العلَّة يَقْتَضي عمومَ الحُكم"[1]؛ "أي: كذلك نُهلِك مَن أجْرَم، فاكْتَسَبَ مُخالفةَ اللّه ورسولِهِ ﷺ"[2].

وفي هذا "تحذيرٌ مِن عاقبةِ الجُرم وسوءِ أثَرِه"[3]؛ "كي يَرْتَدِعَ، ويَنْزَجِر أهلُ الشِّرك والكفر بعد بعْثَتِه ﷺ، وإلّا كان مآلُهم التَّدميرَ والهلاك؛ لأنَّ اللّه قد أهلك مَن أهلك لكونِهم مُجْرِمين، فهذا الحُكْمُ عامٌّ في جميع المُجْرِمين؛ لأنَّ عموم العلَّة - وهي الإجرام - يقتضي عمومَ الحُكْم، وهو العذابُ"[4].

بلاغَةُ تكرارِ قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ في خاتِمَةِ كلِّ مَقْطَعٍ:

تهويلٌ وتكرير؛ لمزيدِ التَّأكيد والتَّقرير

كُرِّرت هذه الجملة في هذه السّورة عَشْرَ مرّات لمزيد التَّرغيب والتَّرهيب، وفي كلِّ جملة وردت أخبارٌ عن أشياءَ مِن أحوال الآخرة، وتذكيرٌ بأحوال الدُّنيا، فناسب أن يُذكَر الوعيد عَقيب كلِّ جملة منها بالويل والدَّمار للكفرة الفُجّار.

وفائدة هذا التَّكرار هي أن يُجدِّد الكُفّارُ والفُجّار عند سماع كلِّ نبأ اتِّعاظًا، وخوفًا مِن عقاب اللّه تَعالى لهم في الآخرة؛ إنْ هُم أصرّوا على تكذيبهم.

ومثلُه تَكرارُ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر: 16 - 17] في سورة القمر، وتكرارُ قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ [الرحمن: 13] في سورة الرَّحمن[5].

والتَّكرار في مقام التَّرغيب والتَّرهيب مستحسَنٌ؛ لأنَّ بسْط الكلام في التَّرغيب والتَّرهيب أدعى مِن الإيجاز إلى إدراك

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 771.
(2) مكّيُّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 12/ 7960.
(3) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 284.
(4) مجمع البحوث، التَّفسير الوسيط: 10/ 1729.
(5) الدُّرَّة، تفسير القرآن وإعرابُه وبيانُه: 10/ 378.

البُغية، ولا سيَّما إذا تغايرت الآياتُ السّابقةُ على المرّات المكرَّرة، كما هو هنا[1].

وأيضًا؛ فلأنَّه وعيد لكلِّ مَن كذَّب، "قسَّمه بينهم على قدر تَكْذيبِهم، فإنَّ لكلِّ مكذِّب بشيء عذابًا سِوى تكذيبِه بشيء آخَر، ورُبَّ شيء كذَّب به هو أعظم جُرمًا مِن تكذيبه بغيره؛ لأنَّه أقبح في تكذيبه، وأعظم في الرَّدِّ على اللّه، فإنَّما يُقْسَم له مِن الويل على قدر ذلك، وعلى قدر وفاقه، وهو قوله: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾ [النَّبأ: 26]"[2].

ولأنَّ "مَن كذَّبك في أشياء؛ كان مِن البلاغة أن تقرِّره بواحدة منها، ثُمَّ تقول له عند قيام الدَّليل: (ويلٌ لك!)، ثمَّ تفعل فيما بعده كلِّه كذلك، وتعيدُ عليه ذلك القولَ بعينِه تأكيدًا له وتحقيقًا لوقوع معناه؛ دلالةً على أنَّ الغَيْظَ قد بلغ منتهاه، والفجور وانقطاع العذر لم يَدَعْ موضعًا للتَّنصُّل منه والبعد عنه، وذلك في كلام العرب شائع معروفٌ سائغ"[3].

ولأنَّ هذه الآية ذُكِرت في كلِّ مرَّة متَّصلة بالجُرم والذَّنب، الذي جاءَت للتَّحذير والتَّخويف منه والتَّهديد والوعيد عليه، فيكون لها بذلك أكبرُ الأثَر في الزّجر والمنع؛ لأن الذّنب إذا قارنه عقابُه، واتَّصل به عذابُه؛ كان ذلك آكدَ في الزَّجر وأقوى مِن الرَّدع، وأدعى إلى البعد منه والتَّنائي عنه"[4].

نكتةُ الإظهار في مقام الإضمار في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾:

تسجيلٌ عليهم بالتَّكذيب، وبيانٌ لِما استحقّوه مِن التَّعذيب

المراد بالمكذِّبين: المخاطَبون بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾، على أنَّ قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تقريرٌ لنظيره المتقدِّم في الآية الخامسةَ عشْرةَ وإعادةٌ لمعناهُ، فهو إظهار في مقام الإضمارِ؛ لتسجيل أنَّهم مكذِّبون، والمعنى: ويلٌ يومئذٍ لكم[5].

(1) زكريّا الأنصاريُّ، فتح الرّحمن: 1/ 593، والكِرمانيُّ، أسرار التَّكرار، ص: 244 - 245.
(2) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 158.
(3) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 171.
(4) مجمع البحوث، التَّفسير الوسيط: 10/ 1727.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 429 - 430.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الأوَّلون والسّابقون:

كـلُّ أوَّلٍ سابقٌ مَـن تـلا، ولـيس كلُّ سابِقٍ أوَّلَا

(السّابق) قد يكون مسبوقًا وقد لا يُسبَق، كما تقول: سبَقني فلانٌ إلى الخيرِ، فهو متقدِّمٌ عليكَ، وإن كان قد سبَقَهُ غيرُهُ، بخلافِ (الأوَّل)؛ فإنَّهُ لا سابق له، ومن أوجُهِ الفرقِ بينَهما: أنَّ (السّابقَ) يقتضي مسبوقًا، بخلافِ لفظ (الأوَّل)؛ فإنَّه لا يقتضي ثانيًا[1]، ولذا كان مِن أسماءِ اللّه تعالى: الأوَّل، كما قال سُبحانه: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحديد: 3].

وقد أوثِر لفظ (الأوَّلين) دون (السّابقين) في قول اللّه ﷻ: ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾؛ لأنَّ هذه الآياتِ إخبارٌ عن إهلاكِ الكفّار من الأُمَمِ الماضين مِن أوَّل مَن كانوا على الكُفْر، ولَم يُسْبَقوا إليهِ إلى آخر مَن يكونون على الكُفْرِ[2].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 120.
(2) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 159.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والستون،
من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 65 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-17-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 65 : المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-17-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2525407 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"